﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

[مريم: 50]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تتميم النّعم على الخليل عليه السلام وذرّيته

لمَّا ذكر الله ﷻ جزاء إبراهيم عليه السلام على هجرته، وأنَّه وهبه إسحاق ويعقوب عليهما السلام، صرَّح هنا بما وهب لأولاده تتميمًا للمنّة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِسَانَ﴾: (لسن) أَصْلٌ يَدُلُّ على طولٍ لَطيفٍ غَيْرِ بائِنٍ، في عُضْوٍ أَوْ غَيْرِه[2]، مِنْ ذَلِكَ اللِّسانُ، وهي الجارحة وقوّتها، وقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾ [طه: 27] يعني به من قوّة لسانه، ويقال: لكلّ قوم لِسانٌ ولِسنٌ بكسر اللام، أي: لغة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان: 58][3]، وقَدْ يُكْنَى بِها عَنِ الكَلِمَةِ فيُؤَنَّثُ حينَئِذٍ يُقالُ: إِن لسانَ النَّاسِ عليْكَ لَحَسنة وحَسَنٌ، أي ثناؤُهم[4]، فيكون معنى اللسان في الآية: هو الثناء الحسن في النَّاس[5].

2) ﴿صِدْقٍ﴾: (صدق) أَصْلٌ يَدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيْءِ قَوْلًا وغَيْرَهُ، مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلافُ الكَذِبِ؛ سُمِّيَ لِقوَّتِه في نَفْسِه، ولِأَنَّ الكَذِبَ لا قوَّةَ لَهُ، وهوَ باطِلٌ، وأَصْلُ هذا مِنْ قَوْلِهم شَيْءٌ صَدْقٌ، أَيْ صُلْبٌ[6]، وقد يستعمل الصّدق والكذب في كلّ ما يحقّ ويحصل في الاعتقاد، نحو: صدق ظنّي وكذب، ويستعملان في أفعال الجوارح، فيقال:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 210.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لسن).
(3) الراغب، المفردات: (لسن).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (لسن).
(5) الواحدي، البسيط: 14/ 261.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).

صَدَقَ في القتال: إذا وفّى حقّه، وفعل ما يجب وكما يجب، وكذب في القتال: إذا كان بخلاف ذلك[1]، والصدق أيضًا بلوغ كمال النوع، فلسان الصدق في الآية: ثناء الخير والتبجيل[2].

3) ﴿عَلِيًّا﴾: (علو) أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على السُّموِّ والارْتِفاعِ، لا يَشِذُّ عَنْهُ شَيْءٌ، ومِنْ ذَلِكَ العَلاءُ والعُلُوُّ، ويَقولونَ: تَعالى النَّهارُ، أَي ارْتَفَعَ، ويُقالُ لِكُلِّ شَيْءٍ يَعْلو: عَلا يَعْلو، فإنْ كانَ في الرِّفْعَةِ والشَّرَفِ قيلَ عَلِيَ يَعْلى[3].

والعَلِيُّ: هو الرّفيع القدر من: عَلِيَ[4]، فيكون معنى ﴿عَلِيًّا﴾ في الآية: شرف الثناء على إبراهيم عليه السلام وذريّته[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مـزيـد الـفـضـل والإكـــــرام لإبـراهـيـم عليه السلام وذريّته

يخبر الله ﷻ بمزيد فضله على إبراهيم عليه السلام وذريّته بأنّه وهب لهم جميعًا من رحمته فضلًا لا يُحصى، وجعل لهم ذكرًا حسنًا، وثناءً جميلًا باقيًا في الناس[6].

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ أنَّ الرحمة الموهوبة لهم عليه السلام تشمل جميع ما وهب الله لهم من الرحمة: من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، الذين قد كثر فيهم الأنبياء والصالحون؛ لأن الله وعدَ كلَّ محسن، أن ينشر له ثناء صادقًا بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله لهم الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذِكْرُهم ملأ الخافقين، والثناءُ عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت

(1) الراغب، المفردات: (صدق).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 125.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علو).
(4) الراغب، المفردات: (علو).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 125.
(6) نخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 308.

بها الألسنة، فصاروا قدوةً للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور، متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة تصدير الآية بالواو:

زيادة الفضائل والرحمات على إبراهيم عليه السلام وذرّيته

استُهلّ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ بحرف الواو الدَّال على العطف والاقتران، فبعد أن ذكر الله في الآية السَّابقة إيتاء ذرّية إبراهيم عليه السلام النبوّة عطف عليه الرحمة في هذه الآية للإيذان بأنّ النبوّة من باب الرّحمة الّتي يختصّ الوهَّاب ﷻ بها من يشاء[2].

سرّ تكرار الفعل ﴿وَوَهَبْنَا﴾:

تأكيد كثرة الهبات الوافرة لإبراهيم عليه السلام وذريّته

تكرّر الفعل ﴿وَوَهَبْنَا﴾ في هذه الآية والتي قبلها تأكيدًا لإكرام إبراهيم عليه السلام بأن وهب له ذرّية أنبياء، ثمّ مع هذه الهبة العظيمة زاد لهم الكريم سبحانه رحمات أخرى من العِلْم، والمنزِلَة، والشَّرَف في الدّنيا وغيرها من الهبات الشاملة لكلّ خير ديني ودنيويَ أوتوه مما لم يُؤتَه أحدٌ من العالمين[3].

معنى اللام وضمير الجمع ﴿لَهُم﴾:

اختصاص إبراهيم عليه السلام وذرّيته بالهبات والرحمات

تعدّى الفعل ﴿وَوَهَبْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ باللَّام الدَّالة على الاختصاص، فقد اختصّ الله ﷻ إبراهيم عليه السلام وذرّيته بكثير من النِّعم والرحمات الجليلة، والتي من أبرزها اختصاصهم بالنبوّة والذكر الجميل عند جميع الأمم إلى قيام السَّاعة.

كما أنّ الضمير من ﴿لَهُم﴾ يعود على إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام جميعا، فقد امتنّ الله عليهم جميعًا بالنبوّة وسائر الكرامات.

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 494.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 420.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 113.

دلالة حرف الجرّ ﴿مِّن﴾ في الآية:

أثـــر حـــروف المعاني في توجيه الدلالات

ورد في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ حرف الجرّ ﴿مِّن﴾، والظَّاهر أنّه هنا حرف تبعيض صفة لمحذوف دلَّ عليه وهبنا، أي موهوبا من رحمتنا، ولم يذكر الموهوب إعلاء لشأنه ولفخامته، وحسبه أنّه هبة الله وأنّه من رحمته سبحانه، فالعقل يذهب في تقديره أعلى المذاهب التي تليق بهبة الله ورحمته، فهي تشمل النبوة، وتشمل الأموال، وتشمل الجاه والسلطان، وتشمل العزة والكرامة، والعلوّ في الأرض ووراثتها، والإمامة فيها وكل ذلك كان في ذرّيّة إبراهيم، وفي إسحاق ويعقوب والأسباط عليهم السلام[1].

وذهب بعض العلماء إلى أنّ ﴿مِّن﴾ هنا اسم بمعنى (بعض) بتأويل، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: 8]، ويشكل على هذا القول أنّ النحاة لم يثبتوا لكلمة (من) استعمالها اسمًا كما أثبتوا ذلك لكلمات (الكاف) و(عن) و(على)، لكن بعض موارد الاستعمال تقتضيه، وعلى هذا تكون ﴿مِّن﴾ في موضع نصب على المفعول به لفعل ﴿وَوَهَبْنَا﴾، أي: وهبنا لهم بعض رحمتنا، وهي النبوءة؛ لأنها رحمة لهم ولمن أرسلوا إليهم[2].

سرّ إضافة الرحمة إلى ضمير العظمة:

العظيم الوهَّاب يـرزق من يشاء بغير حساب

أضاف الله عزّ وجلّ في قوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ الرّحمة إلى ضمير العظمة الخاصّ به سبحانه وهو (نا)؛ وذلك للدلالة على عظمة الهبة، وعظمة الواهب سبحانه[3]، وفيه أيضًا إدخال المهابة في قلوب العباد، فالعظيم إذا وهب أجزل الهبة، فهو يرزق من يشاء بغير حساب.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4654.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 125.
(3) الشّهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 208.

معنى الواو في ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

تتميم المنّة بحسن الذكر والسّيرة على الألسنة

جاء قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ موصولًا بالكلام السَّابق بحرف الواو الدالِّ على الجمع والاقتران؛ وذلك لأنَّ الوهَّاب سبحانه جمع لإبراهيم ﷺ وذرّيته نعمًا كثيرة، فبعد أن ذكر نعمة النبوّة وما يتّصل بها من الخير الدنيوي والأخروي، عطف عليه نعمة الذكر الطيّب وحسن السيرة لدى جميع الأمم.

إيثار تكرار الفعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

خلق محبّة إبراهيم وذرّيته ﷺ في قلوب جميع الأمم

كرّر النظم القرآني الفعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾؛ اهتمامًا بهذا الجعل الشريف، فقد جعل الله ﷻ لهم ذكرًا طيّبًا وشرفًا عن النَّاس بعد أن جعلهم أنبياء، فأعيد الفعل ليكون له مزيد استقرار، ولأنَّ في إعادة الفعل وسيلة إلى إعادة ذكر المفعول الأول، وهم إبراهيم وذرّيته ﷺ.

والفعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾ لفظ عام في الأفعال كلّها، وهو أعمّ من فعل وصنع وسائر أخواتها، ويتصرّف على خمسة أوجه حسب السّياق الذي يرد فيه، وهو في هذه الآية بمعنى أوجد[1]، فالله ﷻ أوجد لإبراهيم وذرّيته ﷺ محبّةً وتعظيمًا وذكرًا طيبًا في قلوب جميع الأمم.

دلالة اللام في ﴿لَهُم﴾:

اختصاص الوهَّاب آل إبراهيم بالذكر الحسن والثناء الجميل

تعدّى الفعل ﴿وَوَهَبْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ باللَّام الدَّالة على الاختصاص، فقد اختصّ الله ﷻ إبراهيم وذرّيته ﷺ بالذكر الحسن، والثناء عليهم بمحامد لا تخفى على تباعد الأعصارِ وتبدُّل الدول وتحوُّل المِلل والنِّحَل[2].

بلاغة المجاز في ذكر اللِّسان:

سعة لسان العرب في إسناد الفعل إلى ملابساته

يتضمّن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ صورة بيانية بديعة، فالمراد باللسان ما يوجد به من الكلام فهو مجاز بعلاقة

(1) الراغب، المفردات: (جعل).
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 13.

السببية؛ إذ الآلة سبب لحصول ما هو آلة له، كاليد في العطيّة، ولسان العرب: لغتهم، فهي الألفاظ الموضوعة المعبر بها عمَّا في ضميرهم، لا آلة الجارحة، ومنه قول بعضهم: ندمت على لسانٍ كان مني: أي كلام[1].

علةُ الإضافة إلى المصدر:

المبالغة في الثناء على آل إبراهيم عليهم السلام

أضيف اللسان في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ إلى المصدر ﴿صِدْقٍ﴾ لقصد المبالغة في الثّناء عليهم، فهو من باب إضافة الموصوف إلى مبدأ الصفة للمبالغة، كأنّه عين الصّدق لكونه صادقًا على وجه المبالغة[2]، والغرض منها الدّلالة على أنّهم أحقَّاء بما يثنون عليهم، وأنَّ محامدهم لا تخفى، كأنَّها نار على علم، على تباعد الأعصار وتبدّل الدّول وتغيّر الملل والنِّحل، وخصّ بعضهم لسان الصدق بما يتلى في التشهد: (كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم)، والعموم أولى[3].

نكتة وصف اللسان بكونه ﴿عَلِيًّا﴾:

استعارة صفة العلوّ للظهور والشّرف والرفعة

تضمّن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ وصف اللسان بكونه ﴿عَلِيًّا﴾، وذلك مجاز في شرف ذلك الثناء، فالعلوُّ مستعار لعدم الخفاء؛ لأن ما علا وارتفع ظهر ظهورًا بيّنًا، فشبه اللسان الصادق بالأمر العالي في عدم الخفاء، أو مجاز مرسل لأنّ العليّ يلزمه الظهور[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصدق والحقّ:

عموم الحقّ في الأقوال وغيرها

يتجلّى الفرق بين لفظي (الحقّ) و(الصدق) في علاقة العموم

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 548، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 12/ 246.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 12/ 246.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 420.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 12/ 246.

والخصوص بينهما، فالحقّ أعمّ لأنّه وقوع الشّيء في موقعه الّذي هو أولى به، والصدق الإخبار أو التدليل عن الشّيء على ما هو به، والحقّ يكون إخبارًا وغيرَ إخبار.

كما يتجلّى الفرق بينهما في الإطلاق واختلاف الضدّ، فالحقّ يطلق على الحكم المطابق للواقع، ويشمل ذلك الأقوال والعقائد، والأديان، والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك، وضدّه الباطل، وأما الصدق، فيطلق على الأقوال والأحوال، وضدّه الكذب[1].

(1) العسكريُّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 193.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»